صاحب الجلالة يوجه خطاباً الى الشعب المغربي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبي العزيز :

لقد أتيح لي أن خاطبتك مرات بعد مرات، ولكنني أعتقد أن الظرف الذي أوجه فيه خطابي هذا إليك، ظرف حاسم بالنسبة لحالنا ولمستقبلنا، ذلك أنه في الشهر الماضي وفي العشرة الأيام الأولى منه كنا قاب قوسين أو أدنى من الكارثة، ومن المصيبة بل كنا أقرب إلى الفناء والانعدام.

ومن ذلك اليوم الى اليوم، والناس تفكر، بل أقول إن كل مغربي كان يفكر، لأن الأحداث التي جرت، والكيفية التي جرت بها هي التي جعلتني أتيقن أنه لا يوجد أي مغربي يمكن أن يقول إن تلك الأحداث لو تمت بالكيفية التي كان يظنها مرتكبوها، لم تكن تمس أي فرد من أفراد المجتمع المغربي.

ولكن أنا حلَّلت من الناحية الفلسفية لأرى هل الشعب المغربي، هل الدولة المغربية، هل الأمة المغربية كانت حقيقة في مأمن أم لا ؟ حقيقة وصلت الى النتيجة وهي ان الشعب المغربي، الدولة المغربية، والأمة المغربية، في الحقيقة هم ناس سالمون.

كانت محاولة اختلاس واغتصاب

ذلك أنه إذا كان، جنائيًا، يمكن أن يطلق على الشيء الذي ارتكبه أولئك الناس، لفظ مؤامرة، سياسياً، فلا يمكن في التعريف الحديث ولا في التعريف القديم، أن نقول عنها إلا أنها محاولة اختلاس واغتصاب، لأن المؤامرة عادة يكون لها ما يسبقها، ويكون لها ما يتبعها، ما يسبقها من تجهيز وما يتبعها من برنامج وما لها من حلفاء، وما لها من أصدقاء، وما لها من قوات ترتكز عليها.

ولما نرى العملية التي قام بها أولئك الناس نرى أنها عملية تشبه السرقة، ناس لا برنامج لهم، ولا مبدأ، لا خطة ولا برنامج لا حلفاء لا مساعدون، لا قوات سياسية ولا نقابية من ورائهم أو أمامهم يمكنهم أن يعتمدوا عليها، فاذ ذاك عرفوا سلامة الشعب المغربي، عرفوا وحدانية الأمة ووحدة البلاد، عرفوا انه كيفما كانت الاختلافات في النظر، في البرامج، في المذاهب، فانهم لا يجدون مع من يتآمرون، ولن يجدوا مع من يطبقون المؤامرة أو البرنامج وحتى في أفعالهم الهوجاء اظهروا هذا الذي قلته لكم.

من ذهب ضحية ؟ عسكريون، مدنيون، علماء، أساتذة، شعراء، موظفون، عملة صغار، مسخرون، سواقة، طباخون، جنود، ضباط.

والجيش سليم

وهذا مما يجعلني أؤكد مرة أخرى أن الجيش نفسه جيش سليم، والدليل على هذا أنهم نادوا بأسماء بعض الضباط واغتالوهم.

فكيف يمكن أن يعقل أن هؤلاء الناس يمكنهم أن يلموا شتات الدولة، ويجمعوا الشمل بعد ما قتلوا العسكري والمدني، العالم، والجاهل، الفقير، والغني، الشاب، والكهل، من هو موصوف باليمين، ومن هو منعوت باليسار، لذا إذا كان هناك شيء زيادة على السلامة : سلامة الدولة، وسلامتنا جميعًا والتي يجب ان نحمد الله عليها ونشكره جيمعًا، فاننا نحمد الله على أننا نعتز بمغربيتنا، وكل واحد فينا ليس له الحق ليحتشم من مغربيته كان مدنيًا أو عسكرياً وليس له الحق ان يحتشم من البذلة التي يرتديها.

نقول إن هذه بمثابة خزينة، خزينة كان حراسها في سبات عميق، أساسه الطمأنينة أساسه عدة أسباب تعرضت الى مجموعة من المغتصبين الذين حاولوا اغتصاب السلطة ولا أقول المشروعية، ولا الحق القانوني، بل حاولوا أن يختلسوا السلطة ويغتصبوا الأموال والأرواح، والله سبحانه وتعالى رد كيدهم في نحورهم.

نتيجة تشجع

أنا كملك لهذه البلاد، ومسؤول عن مقوماتها ووحدتها، يمكنني أن أقول لك شعبي العزيز إن هذه النتيجة التي وصلت إليها، هي أحسن نتيجة، بل هي أقوى نتيجة يمكن أن تشجعني على العمل، على أنني أعرف ان صفوف الأمة لا يمكن أن تتفرق، وعلى أن أولئك الناس الذين قاموا بالعملية لم يكن لهم ظهير في الماضي ولن يكون لهم حلفاء في المستقبل.

إياكم ثم إياكم

والآن هذه أحداث عاشر يوليوز، وأريد هنا كذلك بالنسبة للشعب، لشعبي الذي هو أسرتي الكبيرة، أريد ان أخاطبه كذلك بلغة الطبيب النفساني فأقول له : للمثقفين وغير المثقفين، للسياسيين وغير السياسيين : أقول لهم أياكم ثم اياكم أن تعيشوا دائمًا وأبدًا في جو عاشر يوليوز 1971، والا ستكونون بمثابة ذلك السائق، الذي عوض أن يرى أمامه، يسوق سيارته وهو يرى في المرآة التي تنظر الى الوراء، فلابد ان تقعوا في حادث سير، وبالطبع علينا أن نرى الى عاشر يوليوز بمثابة الذكرى التي ستنفع المؤمنين، بمثابة امتحان لابد ان نستنتج منه نتائج، بمثابة موعظة نتعظ بها، ولكن علينا ان لا نقف هنا أنظارنا ونظرياتنا.

يجب أن نكون مثل ذلك السائق، إذا كنا نريد سياقة السيارة، ونقودها الى الأمام، والى شاطيء النجاة، علينا أن نرى من حين لآخر الى تلك المرآة لكي لا ننسى، ولكي تتجه أنظارنا الى المستقبل، زيادة على أن الرجل الحقيقي الذي يتمتع بتوازنه العصبي والفكري والروحي والعاطفي هو الذي كيفما كانت الهزة التي وقعت له في أعصابه، وفي نفسه، هو الذي يرى أنه إذا بقي على قيد الحياة، عليه أن يعمل لأن الذي يعيش ولا يعمل من الأفضل ان يموت.

إذن مهما بقي على قيد الحياة فلابد له منطقيًا أن يمارس واجبات الحياة، ومهام الحياة.

كلنا صدمنا، والذي خفف من صدمتي هو كما قلت لكم، أن وحدانية الدولة، ووحدة الأمة خرجت من هذا الامتحان وهي بيضاء لا لطخة فيها.

لن أغير مبادىء سياستي

طيب، علينا أن نتجه الى الأمام، وننظر الى الأمام وفي اليوم الثاني، بل في اليوم الأول صرحت أنني قمت بنقد ذاتي، وسأقوم بنقد ذاتي ولن أغير مبادىء سياستي، لأنني أعتقد أنه في الميدان الداخلي، أو الميدان

الخارجي، المبادىء كل المبادىء التي هي مبنية على سياسة، مبادىء واضحة لم تثر إلا إعجاب الجميع في الداخل والخارج.

ولكن قلنا إننا سنغير وسائل العمل ووسائل الشغل.. وسائل العمل كما تعلم شعبي العزيز أنها تقسم السلطة إلى ثلاثة أقسام :

سلط الملك.

وسلط الحكومة.

وسلط البرلمان.

أفوض السلطة التنظيمية للوزير الأول وللحكومة

ونجد فيما بين البرلمان والملك حكومة لها سلطات متعلقة بنفسها، ولها سلطات يمكن ان تفوض لها، ومما يدل على هذا هو الفصل التاسع والعشرون من الدستور حيث يقول في الفقرة الأولى يمارس الملك السلطة التنظيمية، وتحدد ظهائر شريفة الميادين التي يفوض فيها الملك هذه السلطة للوزير الأول.

قررت أنني سأضع حكومتي جماعة وفرادى أمام مسؤوليتها، لا أتهرب من المسؤولية، لأن أكبر مسؤولية دستورية لي هي تسمية أولئك الوزراء، وعلى رأسهم الوزير الأول، أو اعفاؤهم إذا لم يعملوا، ولكن مع الأسف، عدم وجود الفرد والبشر مجابهًا لنفسه، ومجابهًا لمسؤوليته بدون أي واسطة فان هذا ينقص من الفعالية، فلهذا قررت أن أفوض لا أن أتنازل، ولكن أفوض بما في الكلمة من المعنى. من المسؤولية، والعقاب على المسؤولية أو المكافأة على حسن المسؤولية، أفوض للوزير الأول وللحكومة السلطة التنظيمية حتى يمكن لكل واحد ان يظهر بمظهره الحقيقي.

أكثر من روابط أخوية

ومن باب التبعية، والمنصب، فمهام المدير العام للديوان الملكي لم يبق لها أي مبرر، وحقيقة يصعب علي في هذه اللحظة وفي ظرف وجيز، وفي كلمات محدودة في حروفها محدودة في منطوقها أن أحاول أن أعبر عما يربطني بالمدير العام للديوان الملكي السيد ادريس السلاوي من روابط قديمة وحديثة، روابط صداقة وروابط تقدير، وروابط يمكن ان أقدم على هذه التجربة بكل ما في الموضوعية من معنى، فأنا ضحيت بهذا المنصب، منصب المدير العام، ولم أضح به حتى فهمني، وتفاهمنا، مازلت موقناً أنه كيفما كان المنصب الذي سيشغله سأجد فيه الجندي، سأجد فيه الراعي للأمانة، سأجد فيه الناصح النصوح.

مارأيت منه الا الخير والرجل المستقيم

وحينا استدعيت الوزير الأول، لأعطيه البرنامج سواء فيما يخص الوسائل، أو فيما يخص العمل، طلب مني أن أعفيه من المهام التي كانت مناطة به، ولو لم أكن أعلم ما في مولاي أحمد العراقي من النزاهة والاستقامة والاخلاص، لاعتقدت أن هذا تهرب من المسؤولية، ولكنه قال لي : أطلب من سيدنا ونصيحتي لسيدنا وحيث سيقدم سيدنا على تجربة جديدة أن يجدد ما أمكن من الناس، ويبدأ بي أنا شخصيًا.

وكما قلت لو لم أكن أعلم ما في مولاي أحمد من شجاعة ونزاهة وتعلق لكنت أظن، ولكن حاشا الله،

ما رأيت منه الا الخير، وفي أصعب الظروف التي اجتازتها الحكومة، وبالأخص في شهري يبراير ومارس الماضيين، مارأيت منه الا الرجل المستقيم الذي كان يموت كمدًا لما يسمعه ويقرأه ويراه، وانني لأعتمد عليه بصفته برلمانيًا في ذلك المكان الذي فيه سلطة منظمة أن يبقى معاوننا، ويكون بجانبنا، وعندي اليقين انه سيبقى بجانبنا يعيننا ويشير علينا بما يعتقد فيه الخير لهذه البلاد.

أقلنا الحكومة الحالية من مهامها

ومن باب التبعية قبولنا لملتمس الوزير الأول يقتضي دستوريا ان الحكومة الحالية قد أقلناها من مهامها، لنأتي برجال يكونون أقل عددًا ويكونون بمقتضى هذا التفويض أكثر سلطة اذن أكثر مواجهة للمسؤوليات جماعة وفرادى.

ولكن على الجميع أن يتساءل : ما هو برنامج هذه الحكومة ؟ أقول لكم، نعم، كل حكومة ليست الا حكومة مؤقتة، لأنه لا توجد حكومة ما دائمة، ولكن هذه الحكومة سأعطيها سنتين أو سنة ونصف لكي تضع برنامجًا في النقط الآتية :

التعليم، الثروة المغربية، الادارة المغربية، العدالة بمعنى العدالة القضائية.

وأرجع الى كل نقطة.

لا يمكن في القرن الذي نعيشه أن نبقى كآباء أو كمستهلكين للأطر أو كشباب جاهلين، ما هو المستقبل ؟ وما هو المنفذ ؟ وما هو المستوى ؟ وما هي وسائل التعليم ؟ وتلقين التعليم في الظرف الراهن.

إذن، عليها أن تضع في هذا الظرف على أقل تقدير برنامجًا واسعًا، ظاهرًا، لا غبار عليه للمنافذ، للأطر، للمستقبل الاقتصادي لكل فرد مغربي.

توزيع عادل للثروة المغربية

الثروة المغربية منقسمة الى قسمين، صناعية وتجارية من جهة، وفلاحية من جهة أخرى.

وكنا دائما نقول ان سياستنا واشتراكيتنا ترمي الى إغناء الفقير لا إفقار الغني، ولكن، مع الأسف الشديد، ولأسباب، لا أريد أن أرجع اليها رأينا ان الفقير لم يغتن ولكن الغني زاد غنى، فكبرت الهوة والشقة بين الفقير والغني ولا يمكن هذا في بلد دستوره هو القرآن ودستور القرآن هو التعادلية والمساواة تلك المساواة التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم انها كأسنان المشط، لذا، على الحكومة في الظرف الذي سأتيحه لها أنها تمشي في سياسة توزيع الثروة المغربية توزيعاً يغني بيوتاً هي الأكثرية، بل الأغلبية من الشعب المغربي، علينا أن ننظر في الأراضي المسترجعة، وفي الأراضي السقوية، وفي توزيع الأراضي، وفي كيفية توزيع الأراضي وفي كمية الهكتارات التي ستوزع.

هذه كلها سياسة الثروة الفلاحية.

علينا ان ننظر الى خيراتنا، وامكانياتنا، وننظم تجارتنا، وننظم صناعتنا، حتى تصير الثروة المغربية مقسمة على مجموع المغاربة، وحتى يكون مجالها ليس مغربياً فقط، بل جهويًا في هذه الناحية من العالم.



تنظيم الادارة

وتنظيم الادارة ليس في مطمحي ولا في امكاني، أن أغير الطبيعة البشرية، بل من واجبي أن أغير السلوك الاداري.

حقيقة، جاء وقت في هذه المدة التي كنا نجتازها على أنه كيفما كانت الجريمة المرتكبة فيما يخص الرشوة أو استعمال النفوذ، وكيفما كان المستوى الذي ارتكبت فيه، حتى إذا لم يكونوا يشيرون مباشرة الى من بيده مقاليد الأمور في هذه الأمة، كانوا يشيرون ويقولون على كل حال. فلان أو فلان أو فلان يعملون في ظل كذا، وأصبحت في يوم من الأيام — أنا الذي من شعاراتي المظل والصولجان — أنا بقيت في الشمس وعدد من الناس في الظل وفي الظل، استظلوا به للسرقة، للنهب، للرشوة، للفتك بأعراض الناس وأموالهم.

كل من تدخل في قضية سيعتبر راشيا أو مرتشيا

وكيف يمكن لنا أن نخرج ؟

أولا : أقول للناس الذين يستمعون الي أو يرونني في شاشة التلفزيون انني سأعتبر كل من تدخل في قضية فلان أو فلان، راشيا أو مرتشيا، فلكل من تدخل في قضية فلاحية أو رشوة ادراية هنا وهناك، أقول له الآن : اذا مارست بعد هذا اليوم تدخلا لدى المحاكم أو لدى الوزراء فاعتبر نفسك راشياً أو مرتشياً.

أقول ثانيا : ان المجالس التأديبية الموجودة في الادارات يجب ان يعاد فيها النظر :

يوجد انسان سارق سبعة أو ثمانية عشر مليوناً يحيلونه على المجلس التأديبي، ويكتفي في المجلس التأديبي ان يقولوا له : سنوجه لك لوماً، بل يمكن توقيفه، وهذا الانسان لا ينتظر الا التوقيف لكي يتسنى له العمل في القطاع الخاص بعدما سرق السرقة، انا اعتبر شخصيا انه من باب الاصلاح الاداري يجب على كل مجلس تأديبي ان يكون له مايتبعه قانونياً فاذا كان القضاء قد برأه فذاك لم يبرئه يعاقب، ولكن بكيفية أوتوماتيكية، فكل انسان مر أمام مجلس تأديبي له أو عليه ما يتبعه من بحث قضائي.

ثالثا : على الجهاز الاداري ان يتحرر قليلا، حقيقة كل شيء كان يحتاج الى إذن، فنجد الرشوة في الحالة المدنية الى جواز سفر الى رخصة تجارية الى والى، والى.

اعادة النظر في النصوص التنظيمية

على الادارة ان تعيد النظر في نصوصها التنظيمية والادارية لأنه كلما كان عنبوب الاذن كان شلال من الرشوة، وكلما قلت عنابيب الاذن انتهت شلالات الرشوة.

وأخيراً العدل، العدل ليس أساس الملك من الناحية الدستورية، هو أساس التوازن لأن الله سبحانه وتعالى ليس ملكا كالملوك دستورياً ولا سياسياً، فهو المالك ولكن وصف نفسه بالعدل، ذلك لأن العدل هو أساس كل مجتمع يريد أن يعيش في توزان لا طغيان فيه، ولا ديكتاتورية ولا غصب، ما أريده هو اعادة النظر في النظام القضائي، أريد اعادة النظر في القضاة، أريد عدلا دقيقاً مستقيماً، وأريد عدالة نزيهة سريعة، أريد ان يعيش الشعب المغربي في الظل الوارف للعدل، وفي ظل العدالة، أريد للأسرة الكبرى ان تعيش في أحضان ادارة نزيهة نقية طاهرة، أريد لأسرتي الكبيرة ان تعيش في بلد ثرواته ولله الحمد كثيرة، ولكن ثرواته ليست مقصورة



على طائفة دون طائفة بل في امكان كل مغربي وثاب ذكي نشيط عامل ان يصل الى أقصى مستوى، أريد لأسرتي الكبيرة التي تعيش في القرن العشرين ان تشارك في غزو الفضاء في آخر هذا القرن، اريد لأبنائنا أن لايكونوا ركاباً لأبولو فقط، ولكن أريد ان يكونوا رواداً لا بولو، ولا يمكننا ان نصل الى هذا الا اذا أحكمنا مستقبل أبنائنا، وطرق التلقين ووسائل التعليم.

شعبي العزيز

أعتقد بعد هذا لا يمكنني ان أقول بكيفية موجزة أكثر مما قلت، واني أتذكر انني يوم ثامن يوليوز حينما خاطبتك بمناسبة عيد الشباب، وفي الدعاء الذي ختمت به خطابي، كنت أدعو إن كان يعلم أن في نفسي وفي روحي وفي قلبي ما يعود على هذا البلد بالخير ان يبارك في عمري، وأسرتي، وذريتي، وعكست دعائي وزدت : اللهم ان كنت تعلم ان في قلبي ولو مضغة غير صالحة لا تحمل هذا البلد الحب، ذلك الحب، كما كنت أقول، الذي يقرب من الوثنية، اللهم لا تبارك لي في عمري ولا في أسرتي ولا في ذريتي.

دعوت ربي وكنت مرتاحاً لما أقول

وقلت هذا القول لا تجازفا، ولا تحت تأثير العاطفة، قلته لأنني كنت في حالة ارتياح مع ضميري، وحينما دعوت ربي كنت أعلم ان في قلبي ما أقوله.

والله سبحانه وتعالى الذي قال : إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يوتيكم خيراً، أتاني من خيراته أكبر حجة، وأكبر دليل في مدة أقل من يوم، ومن بعد ذلك اليوم نجاني ونجى أسرتي الصغيرة، وأسرتي الكبيرة مما كان سيخيم علينا من مصيبة، ومن الفناء.

والآن أدعو الله سبحانه وتعالى الذي لم يخيب لي دعاء، ولن يخيب لي دعاء أن يعيننا جميعا، شعبي العزيز، ان الطريق التي سنسلكها طريق طويل، فيها متاعب، لابد لقاطرة الدولة ان تسير، وستستأنف قاطرة الدولة مسيرتها في أقرب وقت ممكن.

قطار الدولة سيسير

وسأعود لأكرر ما قلته في الاول، كل مغربي مغربي كان يوم عاشر يوليوز في يوم مصيبة لا فرق بين هذا وذاك، بحيث من باب التبعية، ومن باب المنطق فان كل مغربي مغربي من واجبه ان يعمل يده في الدلو وينهض ليعين على القيام بالواجب، فقطار الدولة سيسير، وساعة سيتوقف عسى ان يركب في القطار كل ذوي النيات الحسنة، دون استثناء ودون ميز سياسي، أو نقابي، دون ميز بين هذا وذاك، علينا ان نعلم اننا كلنا سنكون في (التنور) علينا اذن ان نفتح للجميع الباب ليعمل الجميع على نجاة الجميع.

وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى ان يعطينا حسن التدبير وان يرزقنا حسن التمييز، علينا ان نميز بين الانانية وبين روح التضحية، علينا ان نميز بين ماهو ديماكوجي وبين ما هو أساسي، علينا ان نميز بين ما نقوله للجماهير، وبين ما علينا ان نعمله بأنفسنا، ونعمل عليه ونسير عليه، علينا اذن ان نغير نظاراتنا، وهذا لا يتأتى الا اذا كان بمجهود من الجميع، ولا يمكن ان لا يكون هذا المجهود من الجميع، حيث ان الجميع كان سيذهب ضحية لهذه الكارثة.



اللهم أصلح أحوالنا وثبت أقدامنا، وأنر قلوبنا ووضح سبيلنا، وألهمنا حسن التمييز وألهمنا حسن التدبير، انك مجيب الدعاء وانك بالحمد والشكر جدير.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الأربعاء 12 جمادى الثانية 1391 — 4 غشت 1971